

الْفَضْلُ الثَّانِي

هدي النبي ﷺ مع القراءان

- كان ﷺ أكثر الناس تدبراً لأنه كان أكثرهم علماً بمعانيه وأسباب نزوله؛ فعليه أنزل، فكانت قراءته تدل على هذا التدبر والتفهم، فقد ورد في صفة قراءته ﷺ؛ كما رُوي في السنن وصححه الألباني أن رسول الله ﷺ كانت قراءته مفسرةً حرفاً حرفاً.

- وبين ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص، فقال «اقرأ القراءان في أربعين» فراجعته فقال: «في شهر» فراجعته فقال: «في عشرين» ثم في «خمس عشرة» ثم في «عشر» ثم في «سبع»، قال: «انتهى إلى سبع» (الصحيحة: ١٥١٢). وهذا يدل على أن هذا المقدار هو أقل ما يثبت القراءان عند حافظه، كما يدل على أن هذا القدر هو أقل زاد يصلح معه القلب. وذلك إذا تدبر المرء ما يقرأه.

- وبين أنه لا يُشرع قراءة القراءان كاملاً في أقل من ثلاث، فقال: «لا يفقه القراءان من يقرأه في أقل من

ثلاث» (الصحيحة: ١٥١٣). وفي السلسلة الصحيحة عن عائشة رضي الله عنها: «كان صلى الله عليه وسلم لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث» (٢٤٦٦) ويدل بعمومه على أنه لا تُشرع الزيادة لا في رمضان ولا في غيره. والمقصود بيان أن غرض القرآن الأعظم تدبره، ولا يتأتى التدبر مع قراءته في أكثر من ثلاث.

- وكان صلى الله عليه وسلم «لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل (الإسراء)» (الصحيحة: ٦٤١). «وكان لا ينام حتى يقرأ «آلم. تنزيل» (السجدة) و(تبارك الذي بيده الملك)» (الصحيحة: ٥٨٥)، «وكان لا ينام حتى يقرأ المسبحات ويقول فيهنّ آية خيرٌ من ألف آية» (كان الألباني يصححه ثمّ مال قبيل وفاته إلى تضعيفه كما في كتاب: تراجع الإمام الألباني)، وفي ذلك تنبيهٌ على أهمية استحضار معاني هذه السور والتفهم والتدبر لها كل ليلة قبل النوم. فالأجدر بالمؤمنين أن يشتغلوا بدراسة تفسير هذه السور والاطلاع على معانيها مع الاهتمام بقراءتها في كل ليلة.

والظاهر أنه كان ﷺ ينوع، فأحياناً يقرأ ببعضها وأحياناً بالبعض الآخر، لكن كان يقرن بين هذه النظائر، فيقرأ السجدة مع الملك والزمر مع الإسراء والمسبحات - إن صح الحديث - مع بعضها، وفي ذلك تنبيهٌ على ارتباط معاني هذه النظائر بعضها ببعض، فعلى المؤمن أن يحاول كذلك الاطلاع في التفسير والبحث عن هذا الارتباط. ومثله ما كان يفعله النبي ﷺ من قراءة نظائر من السور؛ فعن ابن مسعود: «إني لأعرف النظائر التي كان يقرأها رسول الله ﷺ يقرن بينهما السورتين في الركعة (الرحمن والنجم) في ركعة و(اقتربت والحاقة) في ركعة و(الطور والذاريات) في ركعة و(إذا وقعت ون) في ركعة» (صححه الألباني)، وهذا يدل على أن هذه السور فضائل كما أن لكل نظير منها ارتباطاً خاصاً، ولذا كان يقرن بين الواقعة والقلم دون الذاريات مثلاً وكذا بين الرحمن والنجم دون الحاقة مثلاً. فعلى المؤمن أن يدرس تفسير هذه السور أولاً مع تأمل المعاني الإيمانية فيها ثم

عليه كذلك البحث عن أوجه ارتباط هذه النظائر، ولولا الإطالة لذكرتُ طرفاً من ذلك.

كما يدل على أهمية المدارس اليومية - وفي الليل - لمعاني هذه السور.

- وقد حث على قراءة الكهف في كل جمعة فقال: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين» (رواه الحاكم وحسنه الألباني) وفي ذلك تنبيهٌ على أهمية استحضار معانيها الإيمانية وفوائدها في كل جمعة، وفي يوم الجمعة بالذات، فلا ينبغي للمرء أن يشغل بقراءتها المجردة دون استحضار ومراجعة ومدارسة هذه المعاني. كما يدل على أهمية هذه السورة حتى أن معانيها تحتاج إلى مراجعة أسبوعية!!

- وكان يقرأ في فجر كل جمعة سورتي السجدة والإنسان، فعن ابن عباس: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: تنزيل السجدة وهل أتى على الإنسان» (رواه النسائي وصححه الألباني). وفي

ذلك أيضاً تنبيهٌ على أهمية دراسة ومراجعة معاني هاتين السورتين في كل جمعة في يوم الجمعة بالذات. وفيه تنبيهٌ كذلك على أهمية هاتين السورتين حتى حرص النبي ﷺ على تكرار تذكير المؤمنين بهما كل جمعة.

- وكان ﷺ يقرأ «ق» في كل جمعة على المنبر في خطبة الجمعة (رواه مسلم)، وذلك تنبيهٌ أيضاً على أهميتها وأهمية مدارسها وتدبر معانيها في كل جمعة.

- وكذا ما كان يقرؤه ﷺ في صلاة الجمعة كـ (الأعلى والغاشية) (رواه أبو داود وصححه الألباني)، وأحياناً بـ (الجمعة والمنافقون) (رواه أبو داود وصححه الألباني)، فإنّ في فعله ﷺ تنبيهاً على أهمية مدارس هذه السور يوم الجمعة، كما أنّ فيه دليلاً على أهمية هذه السور التي يحرص على تلاوتها على مسامع أصحابه في كل جمعة.

- والظاهر - والله أعلم - أنّ معاني السور المقروءة يوم الجمعة تدور حول ما كان يوم الجمعة من خلق آدم وقصة بدء الخلق وما يكون فيه من قيام الساعة والقيامة

وما يكون فيها من أهوال ويرتبط بذلك ذكر عداوة إبليس لآدم وذكر أولياء إبليس وعصاة الرسل وذكر الجنة والنار وذكر الموت وسكراته ومقدماته.

- وكذا ما كان يقرؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاة العيد كـ (الأعلى والغاشية) (رواه أحمد وصححه الألباني)، وأحياناً بـ (ق واقتربت) (رواه النسائي وصححه الألباني)، فياليت العلماء والدعاة والأئمة يهتمون بإسماع الناس هذه السور وبتفسيرها لهم وبيان المعاني الإيمانية فيها، فما كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهتم بهذه السور لولا عظيم أهمية العلم والعمل بها في إصلاح البلاد والعباد.

- وأما السور التي كان يقرؤها كل ليلة، ففيها تنبيهٌ على أهمية استحضار معاني هذه السور كل ليلة وخصّ وقت الليل لانقطاع الشواغل فيه وسهولة التدبر فيه. وفي ذلك تنبيهٌ على أن معاني الإيمان والصلاح تُستحضر وتراجع في الليل، وفي كل ليلة. وفيه تنبيهٌ كذلك على أن المعاني التي ينبغي أن تُستحضر لمن أراد الإصلاح والهداية هي

التي توجد في هذه النظائر، ولولا خشية الإطالة لذكرت المعاني الموجودة في هذه السور، ولكنني أنبه هاهنا على أهمية قراءة ودراسة تفسير هذه السور مع استحضار المعاني الإيمانية فيها ومحاسبة النفس على أساسها، وذلك كل ليلة. وكذا السور التي تُقرأ كل جمعة، فالله المسئول أن يعينني أنا وجميع المسلمين على ذلك العمل الهام.

- وأما السور النظائر التي ذكرها ابن مسعود، فهي أيضاً سور هامة ينبغي على المسلم مدارستها وتفهم معانيها مع محاسبة النفس عليها.

- وكذا السور التي كان يقرأها في صلاته ﷺ بالناس، وأكثرها من حزب المفصل، فإنها سور هامة وفيها معاني إيمانية كافية لإصلاح النفوس والقلوب، فعلى أئمة المحاريب أن يقتدوا بالرسول في ذلك. والمتأمل في السور التي كان يقرأها ﷺ يجد أنها تتكلم عن القيامة والجنة والنار وما يتعلق بذلك؛ فقد سمعه قطبة بن مالك يقرأ في الفجر «ق» في الركعة الأولى (رواه

الترمذي وصححه الألباني)، وكان يقرأ في الظهر والعصر
بالسما ذان البروج والسما والطارق وشبههما (رواه
الترمذي وقال الألباني: حسن صحيح)، وصلى المغرب
بالمرسلات (صححه الألباني في صحيح الترمذي) وصلى
الفجر بإذا الشمس كورت (رواه مسلم) وصلى الظهر
بسورتي الأعلى والغاشية (رواه النسائي وصححه الألباني)
وصلى العشاء بإذا السماء انشقت (رواه النسائي وصححه
الألباني). وهذا هو أكثر هديه، وربما قرأ في المغرب بطولي
الطولين «الأعراف» (رواه أبو داود والنسائي وصححه
الألباني)، وصلى الصبح بسورة الروم (رواه النسائي
وحسنه الألباني). ولكن كان الغالب عليه قراءة حزب
المفصل في جميع الصلوات حتى روى أبو داود: «ما من
المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا وقد سمعت رسول
الله يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة» (ضعفه الألباني).

- وفي ذلك تنبيه على أهمية ذكر القيامة وتذكرها وما
فيها من أهوال وكذا ذكر الجنة والنار وما فيهما؛ فإن

المداومة على ذلك تقوّي في القلب الخوف والرجاء اللذين هما أساس فعل الصالحات وترك المنكرات.

- وكذا كان ﷺ يكثر من قراءة هود وأخواتها، ومع مزيد تأمله وتدبره لهما شاب ﷺ، فقد قال له أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله! قد شئت؟ قال: «شيئتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت» (الصحيحه: ٩٥٥). فعلى المؤمن أن يكثر من قراءة هذه السور مع تدبرها وتلمس الهدى منها؛ فإن ذلك كافٍ لزجّ معاني الإيمان في القلب وهداية القلب - بإذن الله - إلى الخشية والخوف والرغبة لله عزّ وجل.

- وكذا كان ﷺ يحث على قراءة الانشقاق والتكوير والانفطار؛ ففي الحديث: «من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنّه رأي العين، فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انشقت، وإذا السماء انفطرت» (الصحيحه: ١٠٨١). وقال: «من أخذ السبع الأول من القرآن؛ فهو حَبْرٌ» (الصحيحه: ٢٣٠٥). وقال: «اقرأ الزهراوين:

البقرة وسورة آل عمران» (الصحيحة: ٣٩٩٢).
وبالجملة فكل السور التي حث الرسول ﷺ على
قراءتها أو كان يقرؤها، فينبغي الاهتمام بقراءتها وتدبر
معاني الإيمان فيها مع العمل بمقتضى ما فيها.

- وكان من هديه ﷺ كذلك تجميل الصوت
بالقرآن؛ فقد قال: «زينوا القرآن بأصواتكم؛ فإنَّ
الصوت الحسن يزيد القرآن حُسنًا» (الصحيحة: ٧٧١)
فالصوت الحسن يزيد من حلاوة القرآن في القلب
ويساعد أكثر على التدبر والتفهم لمعانيه، فينبغي تحسين
المرء لصوته ما أمكنه.

- وكان من هديه ﷺ أَنَّهُ يستحب قيام ليل الشتاء،
وقال: «الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصام وطال ليله
فقام» (أورده الألباني في صحيح الجامع). وفي ذلك تنبيهٌ
على عظيم أثر قراءة القرآن وتدبره في ليل الشتاء حيث
شدة البرد وحلاوة النوم ومشقة القيام، فحينئذٍ يكافئ
اللهُ القائمين بمزيد تأثر وخشوع وإخبات وإنابة.

- وقال ﷺ: «من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوامٌ يقرءون القرآن يسألون به الناس» (رواه الترمذي وحسنه الألباني). وهو يدل على أن حفظ القرآن وقراءته من أكبر أسباب رزق الله لعبده بخيري الدنيا والآخرة، وأيُّ خيرٍ فوق بلوغ المنازل العالية في الإيمان في الدنيا ودخول الجنة في الآخرة!!! فالزموا القرآن واسألوا الله به صلاح القلوب والنفوس، وصلاح البلاد والعباد، ونشر الحق وقمع الباطل، والله المستعان.